



منهجية التفكير القيادية عند الامام الخميني قدس سره في بداية الحرب المقدسة

■ بقلم الدكتور حسان الزين-البرزيل

ان تلاقي نضالات الشعب الايراني وجهاده وعذاباته والامه مع منهجية التفكير الخمينية بانشاء حكومة اسلامية يعد اولا استجابة لصوت الشعب وتوجيه لتضحياته فما بين الارادة الشعبية والحكمة الخمينية نهضت دولة إيران الاسلام وبدأت الجمهورية تشق طريقها نحو الحرية والاستقلال .

نظرية الصدمة والايام الاولى للحرب .
بعدما أغرت الولايات المتحدة حزب البعث العراقي برئاسة صدام حسين بأن الحرب على الشعب الايراني لن تدوم الا ايام وسيحقق المعتدون انتصارا سريعا وخاطفا ولا يتطلب ذلك الا ايام وتنتهي المعركة فقد استخدم اعداء الامة نظرية الصدمة والمباغثة

عليه ولكن المحاولة لفهم الخطوط العريضة لشخصية عظيمة ومميزة ومبدعة من الامكان وهذا الكلمات هي محاولة لسبر غور منهجية تفكير مفجر الثورة في الايام الاولى للحرب المقدسة .

قبل البدء لابد من توطئة ومقدمة
الامام الخميني والحكومة الاسلامية
لقى الامام الخميني محاضراته النجفية حول الحكومة الاسلامية وكان اول مرجع ديني اسلامي شيعي يطرح هكذا نظريات في الحوزة العلمية بشكل واضح وبيّن .
لم يكن هكذا طرحا عبثيا بل كان مبني على حركة شعبية وتحركات نضالية وعملاية في إيران .

دخلت ايران التاريخ الحديث من بابه الواسع فأصبح القرن متلازم لتغييرات دولية وسمة تلاحق المؤرخين والاستراتيجيين بسؤال اساسي ماذا بعد ثورة الامام الخميني ... ؟
ان نجاح اي ثورة عبر التاريخ تستلزم عناصر قوة ودوافع لتحقيق اهدافها السامية واهم مافي عملية الفلاح والنصر هي منهجية تفكير القيادة لماذا وكيف تفكر وعلى ماذا تعتمد والى اين تفكر ومن أين تستسقي تفكيرها وموقفها ؟
من الصعوبة بمكان الاحاطة التامة والكاملة بمنهجية تفكير الامام الخميني رضوان الله

ان اعظم ما تخافه منه الدول الكبرى والشركات الكبرى العابرة للقارات هي الازادة السياسية المستقلة والعقلية المستقلة الوازنة والمتوازنة لذلك من الملاحظ أن احتلال افغانستان من قبل السوفييات في العام ١٩٧٩ جاء بعد اشهر من انتصار الثورة الاسلامية حيث يعبر بريجنسكي عن حاجة امريكا لاستعادة هذه الجغرافيا لاهميتها الحيوية وتقاطعاتها بالقرب من الجمهورية الاسلامية الإيرانية بعدما خسرت الادارة الامريكية عميلها الشاه ومنفذ مؤامراتها ضد الشعب الإيراني و في المنطقة . بعدما تحرك الاتحاد السوفياتي الى جبال افغانستان اوزعت واشنطن الى صدام حسين بأن الانقضاض على الثورة هي حاجة استراتيجية له ولدول الخليج والانتصارعلى ارادة الشعب الإيراني قريب وحتمي.

فبدأ حزب البعث العراقي الخروج من اتفاقية الجزائر والمعاهدات والتفاهات السابقة معتديا على الحدود والبلاد مخربا الدور والجبال والوديان .

عقلية المرجع الحكيم والاخلاقي والتفكير الانساني ..

كيف تعامل الامام قائد الثورة ومؤسسها مع بدايات الحرب العراقية الإيرانية ...؟ ما إن بدأ حزب البعث بقيادة صدام حسين شن الغارات على القرى والمدن الإيرانية وما قبل حتى توجه الامام الخميني بندايات وخطابات عاجلة ومهمة يمكن الوقوف على بعضها لمعرفة منهجية التفكير الخمينية منذ الاعتداءات الاولى على الجمهورية الاسلامية في ايران:

١- تعامل آية الله مع المشكلة بين البلدين بروحية المرجع الديني العام الذي يحكم بالحق ويحاول منع الفتنة بمعنى أنه إعتبر أن الحرب على إيران هي ليست حرباً ومعركة بين إيران والعراق بل اعتبرها بين حزب البعث المعتدي وبين إيران المعتدى عليها.

٢- تميزت نداءاته الاولى الموجهة الى الشعبين الشعب العراقي والجيش العراقي والى الشعب الإيراني والجيش الإيراني والقوات

كان يردد الامام الخميني رضوان الله عليه حيث كان يستند الى آل محمد صلوات الله عليهم في كل شاردة وواردة في موافقه. إن إعادة بناء الدولة الإيرانية على اساس منهجية تفكير أمير المؤمنين عليه السلام وضع تحديات كبرى أمام قيادة الثورة المباركة وامام الشعب من جهة وأمام المنظمات الدولية والانظمة العربية والشرقية من ناحية أخرى .

لعل ما تميز به السيد الخميني قدس سره بأن عقلا استقلاليا على جميع المستويات ظهر الى العلن وبدأ يتحرك الى الميدان الاجتماعي والسياسي ومن بطون الكتب والصفحات المطوية عبر التاريخ الى واقع التنفيذ العملي والاداري والسياسي .

احتلال افغانستان من قبل السوفييات ...؟ لقد تقاطعت مصالح الدول الكبرى والمعسكرين الاشتراكي والغربي على تقويض التجربة الاسلامية في ايران ومحاولة ضربها قبل ان يشتد عضدها فمصطلح لا شرقية ولا غربية جمهورية اسلامية هو العامود الفقري لمنهجية التفكير الخمينية وبالتالي ستجتمع عليه الاعداء والخصوم من كل حذب وصوب وكان آية الله روح الله يردد كلمات أمير المؤمنين حين عرضت عليه الخلافة بأنه سيسير بسنة القران وبسنة رسول الله واجتهاده .

ان نجاح اي ثورة عبر التاريخ تستلزم عناصر قوة ودوافع لتحقيق اهدافها السامية واهم مافي عملية الفلاح والنصر هي منهجية تفكير القيادة لماذا وكيف تفكر وعلى ماذا تعتمد والى اين تفكر ومن أين تستسقي تفكيرها وموقفها ؟

وهي نظرية ما زالت تستخدم في الحروب العسكرية والنظامية ولها باع طويل في الحروب الاجتماعية والثورات الملونة فكان لا بد من القيادة الإيرانية وعلى رأسها الامام الخميني امتصاص هذه الصدمة بحكمة وجرأة ورؤية وقد عبر عن ذلك منذ اليوم الاول بقوله "لاوجود لعامل يبعث على الاضطراب .. نحن اقوياء و... سنتغلب عليهم".

فكلامه لا وجود لعامل يبعث على الاضطراب كان بمثابة فهم عميق لاستراتيجيات الاعداء وهو عامل ثقة بالنفس الجماعية بقوله نحن اقوياء سنتغلب عليهم .

انتصرت الثورة الشعبية الإيرانية بقيادة آية الله السيد روح الله الخميني الموسوي في فبراير من عام ١٩٧٩ بعد تراكم عذابات المجتمع وتلاحم قوى الازادة الشعبية وتماسك روحية النضال والجهاد خلال عشرات السنين فقد شاركت كل شرائح المجتمع الإيراني بالعمل الدؤوب والمضني لتحقيق آمال الناس .

لقد اسفرت التضحيات الجسام والصبر الشعبي والدماء التي غدت شرايين الثورة عن نجاح نداء الانبياء والمشروع الالهي واحلام المستضعفين فكان النهوض الاستثنائي لثورة استثنائية بارادة شعب استثنائي تحت قيادة مميزة ومبدعة واستثنائية .

كان لهذا الزلازل السياسي تأثيره على منطقة الشرق الاوسط والعالم الذي يعيش بين قطبين بين محور شرقي شيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي ومحور غربي ليبرالي بإشراف الولايات المتحدة الامريكية.

هذا التغيير الجيوستراتيجي لم يكن حدثاً دون تداعيات جوهرية في عالم التقاسمات للنفوذ بين عمالقة العالم والمحاصصات الدولية والمناطقية .

فدخل إيران الاسلام على الخريطة السياسية العالمية كنظام حكم يعتمد المبادئ الاسلامية في محورية تفكيرها وادائها الانساني منطلقة من التجربة المحمدية للرسول محمد صلى الله وآله ومستفيدة من حكومة علي عليه السلام كفكر وعمل واضعة ثورة الحسين في جزئها وكلها فكل ما لدينا من عاشوراء هكذا



الثورية بحكمة عالية ووعي لادارة المعركة من جميع الجوانب واحاطة واسعة باهداف العدو وبامكانات الشعب اليراني وثقته بالله اللامتناهية .

في كلماته عبر التلفزيون والاذاعة الى الجيش العراقي بصيغة ايها الجيش العراقي المسلم وعلى صيغ تساؤلات واسئلة ايماناً منه بان شرح الاهداف وكشف عناصر المؤامرات يمكن ان تجنب الدولتين والشعبين هدر الدماء وتضييع الامكانات والخيارات الكبرى لقوله للجيش العراقي من تحالف ومن تريد ان تحارب ومن تناصر...؟

فهذه المنهجية العلوية في التفكير بسحب الذرائع وافهام وتفهم الفئة المغلوب على امرها وكشف الحقائق لتجنب المخاطر اسست لمرحلة مقبلة من تاريخ المنطقة فقد استفاد الامام من منهجية التفكير في نهج البلاغة بقدرة ابداعية فريدة فكان يمثل علياً خير تمثيل وهو الذي يفتخر بانتماؤه الى الامام جعفر الصادق عليه السلام.

٣- توجيهاته الى الشعب اليراني بالهدوء والثبات وانتظار اللحظات المناسبة او كما يقول بجدية ليثبت هذا الشعب المعطاء لصدام حسين واذناب امريكا حيث يعتبر الامام ان المعركة هي معركة مع امريكا وهذا يدل على وعي استراتيجي عميق لما تقوم به امريكا منذ اللحظات الاولى لانتصار نداء الانبياء وحركة المستضعفين التي ستؤسس لانتصارات على مستوى العالم.

٤- الايمان بالله والثقة بالله فقد اكد مرارا وتكرارا على ان المعركة هي بين الكفر والايمان فحزب البعث العراقي يمثل الكفر وايران الاسلام تمثل الايمان لذلك عندما سرت شائعات بأن السيد الخميني توفي او قتل قال في نداءاته الاولى قائلاً:

وسمعنا أنهم اليوم يشون شائعة أخرى، مفادها أن فلان قد مات وعبروا عن فرحهم وسرورهم بموته. إنهم مخطأون، كان عليهم أن يتمنوا موت الله، لا نبأ وفاتي أنا، الله موجود فمن أنا وما خطري وتأثيري. إن أمتنا لها رب“.

نحن نحارب في سبيل الله، لماذا يقاتل جيش العراق؟ انتهى الاقتباس من الخطاب فهذا الانخراط الكلي والذويان في الله معتبرا أن الله معنا وإن معي ربي سيهديني كانت كفيلة بتمكين الثقة الشعبية فاذ به يدعو شعبه الى الصمود والتحدي فاذ به يقول:“وبعون الله وتأييده، وبهمة الجماهير المسلمة، سُنَجَّتْ جذور الفساد



**لقد اسفرت التضحيات الجسام
والصبر الشعبي والدماء التي
غذت شرايين الثورة عن نجاح
نداء الانبياء والمشروع الالهي
واحلام المستضعفين فكان
النهوض الاستثنائي لثورة
استثنائية بارادة شعب استثنائي
تحت قيادة مميزة ومبدعة
واستثنائية.**



وسينتشر الإسلام في كل مكان. وما إعتقادنا إلا على الله ولن نخشى أحداً سواه. فعليك أيها الشعب العزيز بالتوحد، والإصرار، والعزم، ولا تسمح للخوف أن يتسرب إلى أعماقك، فليس هناك ما يخيف“ انتهى الاقتباس.

٤- ان ايمان الامام بالنصر في هذه المعركة كان لافتاً منذ اللحظات الاولى والايام الاولى وقد اشار الى ذلك في خطاباته الاولى معللاً أن من كانت دوافعه الهية فمن المؤكد له النصر في هكذا حرب حيث قال : “إننا سنجاهد ونناضل دفاعاً عن وطننا الغالي ما دام الدم يجري في عروقنا ولن نلقي بأسلحتنا على الأرض حتى يتحقق النصر المؤكد انتهى الاقتباس.

ان دراسة الجوانب القيادية الحكيمة لمؤسس الثورة الاسلامية في ايران الإمام الخميني تتطلب دراسة لكل قول وفعل ببالغ الدقة لإن اولياء الله ينطلقون من القرآن وفعالهم تسدد من تجارب الانبياء والصالحين وسبب الامام الاكبر والامام العظيم قائدا وملهما لكل احرار العالمر وصدق الشاعر حين قال مادحا:

نعم لثورتك الكبرى نمجدها... يا من بفوزك فاز العرب والعجم .